وأخيراً, فإن الجريمة الثالثة التي أريد أن أؤكد عليها ليست فقط الدمار الهائل وتفجير المعالم الأثرية لمدينة تدمر وأطلالها, والتي درستها وعشتها فيما مضى في زمان مختلف ودولة أخرى. ما أرغب بالتأكيد عليه هو أن تلك الدماء وتلك الوحشية التي لطخت آثار ومسرح تدمر قد أفقدته برائته وللأبد في أن يكون منصة للمناسبات والأفراح لأنه أثقل بالذكريات المؤلمة, والدماء التي روته لن تجعل ذلك ممكناً أبداً. للأمانة وبعد أن حرر الجيش السوري مدينة تدمر وفي الخامس من أيار- مايو 2016, أرادت أوركسترا مسرح ماريانسكي في سان بطرسبرغ إقامة حفل موسيقي على مسرح تدمر بعنوان "صلاة في تدمر" وتحت إشراف فاليري ابيسالوفيتش غيرغييف, وكان مقرراً تقديم بعض أعمال باخ وبروكوفييف وشيدرين, عندئذ توزع طاقم الاوركسترا ومديرها على المنصة وليس على مسرح نفسه الذي غرق بدماء الجنود الذين قتلوا, ذلك المكان الذي ارتبط عاطفيا بذكرى مؤلمة إلى الأبد. جريمة ثالثة دون عقاب, ولن نسامح.

عندما كتب الكونت الشهير فرانسوا فولني في عام 1789 في مؤلفه: (آثار تدمر), ذكر أنه كان يومياً عند الغسق بعد زيارة بعض المعالم في السهل الممتد يتأمل من بعيد الأطلال والقمر الصاعد فيما وراء نهر الفرات البعيد, لم يكن ليستطيع تخيّل حال تدمر اليوم. مدينة اقترنت إلى الأبد بالرعب جراء التضحية ببعض الشباب الذين ذبحوا هناك, وبمجرمين ارتكبوا الجرائم الثلاث في تلك المدينة. المسؤولية تقع على حد سواء على عاتق كلاً من المنفذين والمحرّضين, على أولئك الذين أمدّوا القتلة بالسلاح وألبسوهم الزي الرسمي, وعلى أولئك الذين يبرّرون القتل بكل بوقاحة. لكن دماء الجنود التي أريقت لن تسمح لنا إطلاقاً برؤية مسرح تدمر كما كان, بل كنصب تذكاري للبطولة وكمذبح مقدّس قدم فيه قرباناً خمسة وعشرين جنديًا شاباً بريئاً.

خواكين ماريّا كوردوبا

قسم التاريخ القديم

جامعة أوتونوما مدريد

المجد للمنتصرين, لأن أول شيء يجب أن أفعله هو صون شرف أولئك الجنود السوريين الذن هزموا وقتلوا هناك, أيديهم مربوطة خلف ظهورهم, مرهقين بلا شك أمام اقتراب نهايتهم الظالمة, حزانى ومتعبين. احتفظ الجنود الشبّان جميعهم بعزّتهم أثناء إعدامهم الهمجي. كانوا يرتدون زيّ جنود الجيش العسكري ولم يكونوا بلطجية أو قتلة تابعين النظام كما كانوا يريدوننا أن نصدق. كان لديهم أحلام وخطيبات أو زوجات, آباء مسنين وأخوة وأخوات وربما أطفال. كانوا مثل كل الذكور في سوريا مساقين إلى الخدمة الإلزامية عندما اشتعل هشيم الحرب في بلدهم وقد أدّوا واجبهم. ربما لم يتفقوا فكريا لا مع حزب البعث ولا مع الرئيس, أو لعل بعضهم كان رافضاً لسياساته وجلّ ما كانوا يحلمون به هو الحصول على وظيفة جيدة أوالزواج أو الهجرة أو الدراسة في الخارج حالهم حال الكثير من مواطنيهم الآخرين. وقد يكون بعضهم غير منتسب إلى الحزب حتى أو كان لا يزال يؤمن بالمثل التي نشأ الحزب عليها. لكنهم جميعاً بدون استثناء احتفظوا بعزتهم وكرامتهم أمام الموت, كانوا جنوداً شباباً سوريين ينبضون بالقوة والشرف. إنهم يستحقون تكريمنا لهم لرباطة جأشهم واحساسهم بالفخر. الشرف والقوة أصبحت ذكراكم يها الجنود.

لكن موتهم يسلّط الضوء على ثلاث جرائم مرّت دون عقاب ولن أسكت عنها: الأولى وهي أن المتطرفون الإسلاميون أخذوا خمسة وعشرين مراهقاً, إنهم أطفال حقيقون لكي يطلقوا النار على أعناق الجنود الشبّان. خمسة وعشرون طفلاً تم تسميمهم وإذلالهم طوال حياتهم بسبب الجريمة التي اقترفوها والفكر الذي تم حشوه في أدمغتهم. إنها جريمة دون عقاب, ولن نسامح.

أما الجريمة الثانية فكان جناتها مختفين في الظل: أولئك الذين ألبسوا المتطرفين الإسلاميين الزي العسكري لجنود حلف شمال الأطلسي. فقد تمّ الكشف ولعدة مرات في موانئ اسبانيا ودول أخرى عن تهريب الملابس العسكرية المموهة والمتجهة إلى داعش. بالكاد ذكرت هذه الأخبار بشكل عابر, والمجرمون المخفيين بيننا كانوا هم المسؤولين عنها. والمجرمين المخفيين أيضاً كانوا مسؤولين عن إيصال الأسلحة والصواريخ القريبة والبعيدة المدى والعالية الجودة إلى داعش, ومصدرها ألمانيا ورومانيا وجمهورية التشيك وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية, لأنه وكما يظهر من تلك الصور أن القصّر المجرمين كانوا يرتدون البزّات العسكرية الرسمية ويحملون المسدسات الأوتوماتيكية المصنوعة في الغرب. ينبغي أيضا أن يكون القتلة المخفيين مسؤولين عن هذه الجريمة التي ارتكبت في أنقاض تدمر. جريمة ثانية دون عقاب, ولن نسامح.

الموالية للأسد" وتعليقات مماثلة. لكنهم كانوا جنودًا بسيطين. حسنًا, أعتقد أنه في هذه الجريمة وفي هذه الصور هناك شيء مهم لحفظه: شرف وشجاعة خمسة وعشرين جندي مجهول من الجيش الوطني السوري. وثلاث جرائم متزامنة وجبت الإشارة إليها كي لا تنسى.

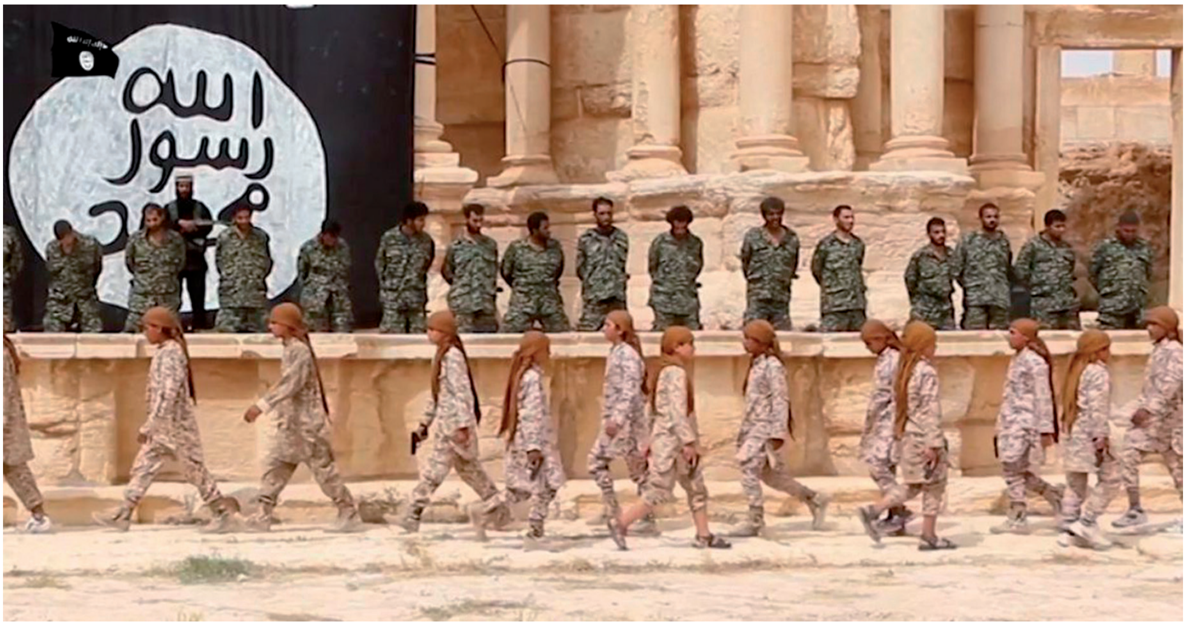

الشرف العسكري\ القوة والشرف

في ذكرى المنسيين

في شهر أيار- مايو 2015 وبعد فترة وجيزة من استيلاء الأصوليون الإسلاميون المفاجئ على مدينة تدمر, نشرمسلحو داعش فيديو مصور يتباهون فيه بتنفيذ القتل رمياً بالرصاص على أعناق 25 جندي من الجيش الوطني للجمهورية العربية السورية, الدولة العضو في الأمم المتحدة والحاضرة لمؤتمراتها والمساهمة في المنظمة. وبالرغم من ذلك, لم يقم أحد بإدانة الوحشية المرتكبة بحزم وبوضوح ولا حتى اهتموا بالملابسات الخاصة للقضية. تمت التضحية بهؤلاء الجنود الخمسة والعشرين على مسرح تدمر العظيم بحضور جمهور أجبر على مشاهدة هكذا مشهد وحشي نفّذه جلادون لم يبلغوا سن الرشد. أريد أن أذكركم الآن بذلك لأن مسرح تدمر سيبقى ملطخاً بدمائهم إلى الأبد. قتلى على حجارة المسرح الذي طالما أحبه خالد محمد الاسعد, والذي هو أيضاً قتل بعدها بوقت قصير بوحشية من قبل نفس المجرمين. وبما أنه تمّ تجاهل هؤلاء الجنود وموتهم بكرامة آنذاك, لا أريد ولا أستطيع أن أنسى تضحيتهم في أطلال تدمر.

حينها انطلقت بعض التنويهات المختصرة حول الواقعة وبدافع الإلتزام لا أكثر. فمن جهة المتطرفين الإسلاميين, وهم الأصدقاء المقربين من "الشبكات الاجتماعية" فقد نشروا الفيديو المصور لهكذا احتفال بربري بابتهاج, نشروا التحضيرات وعملية نقل الجنود إلى مكان الإعدام وبعض الجرائم الأخرى. أما ما يسمى بالمرصد السوري لحقوق الإنسان- ومقرّه بالطبع في لندن- فقد علّق على الحدث أخيراً في 27 من أيار- مايو, وقد قلّص المرصد عدد القتلى إلى عشرين بينما يمكن عدّهم في الفيديو والصور بسهولة أنهم كانوا خمسة وعشرين جنديًا يرتدون الزي الرسمي, متجاهلين جندياً آخر مقطوع الرأس يظهر في نفس الفيديو, وقد أطلق المرصد على الضحايا الاسم المعهود "قوّات نظام بشار الأسد" كما لو كانت هذه الخطيئة المزعومة تبرئ الجاني من فعلته. أما النفاق الغربي المتوافق مع مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وأصحاب المصلحة الآخرين في المنطقة فبالكاد ذكر الجريمة بتعليقات مقتضبة وصفت الجنود الضحايا دائماً على أنهم "قوات النظام" أو "القوّات

ولا حتى قتلتهم يعرفون لماذا ولم يخطر ببالهم ماذا سيقولون, لأنهم قتلوا ولا زالوا سيقتلون بدناءة سعياً لمرضاة أولئك الذين يمقتون ضحاياهم, الذين يشعرون بأنفسهم أقوياءً لا يقهرون وبعيدون كل البعد عن المسؤولية وعن الضمير, تماماً مثل بقية القتلة ومثل من يتحكم بالطائرة بدون طيار ويقتل عن بعد آلاف الكيلومترات في ألعاب الفيديو بينما يأخذ رشفة من مشروبه المفضل. لكن ماذا عمّن ماتوا من حراس وآثاريين وموظفين, ألم يكونوا أرواحاً بشرية وقد سلبوهم الحياة دون وجه حق؟ لكنهم على الأقل ماتوا بشرف, اغتالهم مجرمون مسلحون مدعومون من الشرق والغرب بكل جبن ودناءة. تكريماً لذكراهم وتضحياتهم, تكريما لآطفالهم, أزواجهم وزوجاتهم, لأمهاتهم وآبائهم, لأصدقائهم وأقاربهم. ستظلون في ذاكرتي دائماً. لن ننساكم.

خواكين ماريّا كوردوبا

قسم التاريخ القديم

جامعة أوتونوما مدريد

على اليسار: خالد شعبوق, موظف قطع التذاكر في قلعة حلب. في الوسط: باسم حسن, أمين متحف التقاليد الشعبية في بصرى, اغتيل من قبل قناص. على اليمين: اياد الشريقي, حارس اغتيل بانفجار لغم أثناء تفقد أحد المواقع في شمال حماه.

وفي مدينة حلب الشهيدة, حيث كانت قلعتها تحت حماية القوات الحكومية, وتعرضت للهجوم والتدمير من قبل الإسلاميين بقدر ما استطاعوا. عانت مواقع المدينة التاريخية والقلعة والمسجد الأموي الكبير والمتحف الأثري من دمار هائل بعد أن تحولت الى مسرح الصراع بين كلا طرفي النزاع من أجل السيطرة عليها والمعارك النهائية لتحريرها. عمل الموظف **خالد شعبوق** في المسجد الأموي الكبير والمتحف الأثري ولسنوات عديدة في المهمة المتواضعة لبيع التذاكر لآلاف الزوار والسائحين الذين اجتذبتهم واحدة من أهم المعالم الأثرية في سوريا. أيضا ترك خالد خلفه زوجة وأطفالاً.

في 21 من كانون الثاني - يناير 2013 عندما كان الصراع في سوريا بالكاد لم يكمل العامين, هاجمت مجموعات مسلحة دائرة الآثار والمتاحف في مدينة بصرى في محافظة درعا. كنتيجة لذلك فقد توفي الحارس **يحيى إبراهيم** متأثراً بجروحه وفقدته عائلته وأولاده إلى الأبد. وفي نفس المدينة, في 26 أيار- مايو تم إطلاق النار على الموظف **باسم حسن**, أمين متحف التقاليد الشعبية في بصرى عندما كان في طريقه إلى عمله. اليوم, استعادت الحكومة المدينة والمحافظة في صيف عام 2018. لأي غرض قتل هؤلاء الناس؟ لماذا؟

أتساءل عن أي فائدة جنيت من قتل العديد من الأبرياء والكثير من المدافعين عن التراث الإنساني؟ أذكر منهم الموظفة في دائرة آثار ادلب **هدى الحمود**, وهي أم لعدة أطفال وقد اغتيلت في 28 تشرين الثاني- نوفمبر لعام 2013 عندما كانت في طريقها نحو عملها. ونذكر أيضاً الموظف في دائرة آثار ريف دمشق **محمد محمود** الذي قتل بعد استهداف مقر عمله بالقنابل في 30 نيسان- ابريل 2013. وأيضا **عبدالله الحميد**, حارس لعدة مواقع في دير الزور مثل تل النفاض وتل مدكوك وغيرها, في 22 تموز- يوليو 2014 قام المتطرفون الاسلاميون بذبحه بكل وحشية. أو القتل الدنئ **لإياد الشريقي** من قبل المتطرفين الاسلاميين, كان أيضا حارساً لعدة مواقع أثرية في شمال مدينة السلمية في محافظة حماه وقتل في 1 شباط- فبراير 2018 أثناء قيامة بتفقد أحد المواقع المكلف بها داس على لغم مزروع ومات مخلفاً زوجة وأربع أطفال. لماذا قطع رأس الحارس عبد الله, من أجل أن يترك خلفه أيتام الأب في حالته, أو أيتام الأم في حالة هدى, أي مفخرة من قتل انسان عن بعد وهو ذاهب إلى عمله مثل باسم؟ ماهي المفخرة من قتل إياد غدراً؟ ماذا سنحكي لأطفال اسماعيل أو خالد, كلاهما كانا أبوين يفيضان حناناً وأصبحوا مجرد صور بالكاد تجعل أطفالهم يتذكرونهم عندما يكبرون, ماذا سنقول؟

على اليسار: قاسم عبدالله يحيى, قتل في قلعة دمشق. في الوسط: اسماعيل محمد علي, حارس مواقع أثرية في دير الزور مع طفليه, قتل في طريقه إلى العمل. على اليسار: سائق في مديرية آثار معرة النعمان, ادلب.

نذكر منهم على سبيل المثال الدكتور **قاسم عبد الله يحيى** وهو خريج علوم كيميائية وشغل منصب معاون مدير المخابر في المديرية العامة للآثار والمتاحف. يحمل قاسم ماجستير بالكيمياء من ايطاليا ومحبوب من قبل زملائه في ايطاليا. كرّس جهوده في تدريب المختصين بالترميم وقد ساهم في إنقاذ لوحات الفيسفساء العائدة للعصور الرومانية والبيزنطية حتى في أحلك لحظات الصراع. كان يعمل بكدّ مع زملائه في قلعة دمشق على أكياس البلاط وقطع الفسيفساء التي تمكن حراس المواقع والجنود السوريين من إنقاذها. في 12 آب- أغسطس لعام 2015 أطلقت جماعات مسلحة من دوما والغوطة صواريخاً على القلعة والمتحف الوطني, وقد تضررت كلتا المؤسستين وأُصيب العديد من الأخصائيين والموظفين بجروح. توفي الدكتور قاسم البالغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً في مقر عمله في مخابر القلعة تاركاً خلفه زوجة وثلاثة أطفال.

في نفس العام في 11 تشرين الأول- أكتوبر قتل الإسلاميون الموظف **إسماعيل محمد علي**, وهو متزوج وأبّ لطفلين. كان إسماعيل شخصاً معروفاً ومحبوباً جداً في دير الزور, كان يعمل كحارس لمتحف المدينة الأثري عند وفاته, كما تمّ تكليفه بمراقبة المواقع الأثرية المهددة في محافظة دير الزور. في ذلك التاريخ وبينما كان اسماعيل في طريقه إلى الحسكة للقيام بواجبه أخذ القتلة حياته. انكسرت عائلة أخرى بهذه الجريمة البشعة وما تبقى هو أرملة شابة أخرى واثنين من الأيتام الجدد.

أيضاً الموظف **خالد زيادي** الذي كان يعمل كسائق في دائرة آثار ومتاحف معرة النعمان في محافظة إدلب. متزوج وربّ عائلة كبيرة مؤلفة من عشرة أطفال. قتل في اكتوبر- تشرين الأول 2015 أثناء تأدية واجبه بواسطة مقذوفات أطلقها المتطرفون الإسلاميون الذين كانوا يحاولون السيطرة على قريته ذات الموقع الاستراتيجي.

خالد شعبوق, موظف في قلعة حلب مع أحد أطفاله, تم اغتياله.

أيضا في ذكرى

جميع علماء وحرّاس وموظفي المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية

الذين قضوا أثناء تأدية واجبهم والذين ستبقى أسماؤهم خالدة لا تنسى

على مدى تاريخ طويل من النهب والتدمير لتراث العراق ومتاحفه, تبقى ذكرى العديد من حراسه وموظفيه المختلفين وعلماء آثاره المعروفين, وجميعهم قضوا بآلة الوحشية الإسلامية المتطرفة. قسم منهم تمّ الحديث عن موته وقسم آخر بالكاد تمّ الإشارة إليه, مثل حالة السيد حداد, لا أعرف اسمه الكامل, وهو حارس مدينة لارسا الأثرية الذي قُتل في عام 1994 على أيدي اللصوص الذين كانوا يقومون بتهريب الآثار القديمة إلى دول الإتحاد الأوربي واسرائيل والولايات المتحدة واليابان ودول الخليج العربي. لم يتحدث أحد عن قصته التي أعرفها وأنا الآن أذكره هو وزملائه لأنه يجب أن أكرّم زملاءه السوريين الذين قتلوا للسبب ذاته: الدفاع عن ماضي بلدهم وتاريخه وعن سبب وجودهم.

من بين ما يزيد عن ألفين وخمسمائة موظف في المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية هناك قائمة كبيرة من الأبطال المجهولين, والقائمة التي تضم الموظفين الذين قتلوا تطول أيضاً. كان من بينهم نساء ورجال, فنيون وحراس مواقع أثرية وحراس متاحف, سائقون ومرشدون متحفيون. تكريمي لهم جميعاً, سواء من قتل خلال تأدية عمله ومن قضى في طريقه للعمل أو من وقع مهنم ضحية الهجمات والتفجيرات. كانوا بكل بساطة أناساً بسيطون لكنهم كانوا يدركون قيمة مهمتهم. كثير منهم كانوا من من المتخصصين المعترف بهم في الخارج.

من ضمن قائمة طويلة ممن قتل سأختار بعض الأسماء التي وصلتني:

المتلهفين لتدمير أكثر الدول العربية وعياً ولطمس أي شكل من أشكال الاشتراكية ولضمان السيطرة المتجددة على شعوب المنطقة.

وهكذا, وتكريماً لهذا الرجل الشجاع, هذا العالم الملتزم ولإدانة نفاقنا المختزن, أكّرم وأتذكر خالد محمد الأسعد مع صورة جسده المعلق بسخرية مثلها مثل صورة المسيح الذي ضحى لخلاص شعبه. السلام والشرف للموتى. السلام والشرف لأولئك الذين ما زالوا يعرفون كيف يموتون من أجل ما يحبون.

علّق قتلة خالد الأسعد جثته المعذبة عند إشارة مرور في منتصف الطريق العام. معلق من رسغيه, غارق في دمه, حافي القدمين – وقد وضعوا بين القدمين استهزاءً رأس الباحث المبجل المقطوع مرتدياً نظارته - معلق في وحدته, مع لافتة تعريفية مربوطة على خصره والتي وضحت أسباب "إعدامه". ويذكر النص ما يلي:

المرتد
خالد محمد الأسعد
موالي للنظام النصيري بصفته:
1- ممثل عن سورية في المؤتمرات الكفرية
2- مدير لأصنام تدمر الأثرية.
3- زيارته إلى إيران وحضوره حفلة انتصار ثورة الخميني.
4- تواصله مع أخيه العميد عيسى رئيس فرع فلسطين.
5- تواصله مع العميد حسام سكر بالقصر الجمهوري.

خواكين ماريّا كوردوبا

قسم التاريخ القديم

جامعة أوتونوما مدريد

1. يقصد هؤلاء الجهلة المؤتمرات الوطنية والعالمية حول الآثار والتاريخ
2. أوضحوا لي أن المتطرفين الإسلاميين يستخدمون كلمة صنم للإشارة الى التماثيل, ذلك الاسم الذي كان مستخدماً لأصنام مكة قبل الإسلام

وصل حزب البعث في عام 1963 إلى السلطة بعد مناظرات وكفاح ومعه سعت روح الأمة العربية للبحث عن جذورها في ثنايا الماضي الوطني العريق دون استبعاد لأي مكوّن من الأرث الوطني. وهكذا أصبح علم الآثار واستعادة الماضي هدفاً بيناً لإعادة دمج روح الأمة السورية الحديثة. وكان من المنطقي تكليف خالد الأسعد بمسؤولية إدارة الآثار والمتاحف في تدمر في ذلك العام والتي استمر بها كوظيفة وشغف لمدة أربعين عاماً حتى تاريخ تقاعده في عام 2003.

عاشت سوريا تقلبات كثيرة خلال كل تلك السنوات إلا أنها عزّزت مكانتها كدولة مركزية في العالم العربي إلى جانب العراق الذي تشترك معه في رؤية مماثلة, حيث كان يحكم كلا البلدين حزب البعث بتوجهاته العلمانية والقومية والاشتراكية, كانا بلدين ملتزمين بمجانية التعليم الحكومي في مراحله من الأساسية إلى الجامعية دون تمييز من الجنسين وكانا يسعيان إلى حماية الثقافة والإرث الثقافي كهوية للأمة. أسهم خالد الأسعد في تطوير الحفريات الأثرية وأعمال الترميم وبناء المتاحف الجديدة في تدمر وفي تحويل المدينة التاريخية إلى مرجع عالمي.

بدأت أعمال التنقيب الأثري السورية في تدمر منذ عام 1958 وبوجود الأسعد على رأس العمل الأثري وبالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف ومقرها في دمشق, كانت التنقيبات وأعمال الترميم مستمرة ومتميزة دائماً, بالإضافة إلى العمل المشترك مع مختصين من أنحاء العالم مثل كازيميرز ميشيلوفسكي وميشيل غافليكوفيسكي وادمون فريزول ورودولف فيلمان وغيرهم. إلى جانب نشاط الأسعد في العمل المتحفي وفي الموقع الأثري فقد كان له نشاط في البحث العلمي ونشر عشرات المقالات والكتب, كان من أحدث مساهماته دراسات عن العمارة الفردية للمكان أو إنتاج المنسوجات ، التي نُشرت في كتاب:

Palmyra. Kulturbegegnung im Grenzbereich (1995 - A. Schmidt-Colinet, ed., Verlag Philipp von Zabern, Mainz am Rheim).

بعد سنوات العمل الطويل, استحق خالد الأسعد التقاعد والاستمتاع بالحياة السعيدة مع أبنائه وأحفاده, ومع هذا استمر بالبحث العلمي والنشر وتوزيع حبه لماضي بلاده وجوهرها. عندما بدأت الاضطرابات في سوريا وتحولت إلى حرب تغذيها أطراف خارجية, وبالاستفادة من التجربة العراقية مع التطرف الإسلامي, أراد الباحث المسنّ تقيدم دعمه وتجربته في سبيل الدفاع عن الميدنة الأثرية ومتحفها. نقلت الحكومة السورية قسما كبيراً من القطع الأثرية وبقي قسم آخر لم تتمكن من نقله بسبب حجم القطع أو صعوبة نقلها.

في نيسان- ابريل 2015 غزت جحافل الأصوليين الإسلاميين مدينة تدمر وكان هدفهم الأساسي تدمير التراث والمتحف, فسجنوا الآثاري الشيخ وعذبوه طوال أسابيع بهدف إنتزاع اعترافاته حول مكان تخزين القطع المتحفية. قاوم إلى ما وراء الألم وبقي ثابتاً على موقفه وفي النهاية قام جلاّدوه بوحشية بقطع رأسه في باحة المتحف الذي طالما أحبه وقد وصلت بهم الهمجية إلى التمثيل بجثته وعرضها على الطريق العام. في الثامن عشر من آب- اغسطس تحول ذلك الشاب المحب لبلاده وتاريخها والملتزم بالحرية والتعليم للجميع إلى رجل عجوز وشجاع ضحى بحياته بشرف وصان بصمته البطولي آثار الماضي وحفظ الإنسانية بتضحيته. لن ننساك أبداً, أعدك بذلك.

تكريم باحث

في الغرب ، يسود السلوك المنافق بعدم نشر صور "تؤذي حساسيتنا", خاصة عندما تكون مسؤولية الوحشية التي ارتكبت تقع على عاتق أولئك المحميين بقوى التدخل. وهكذا, يتم إخفاء الجريمة والتخفيف من حدّتها ثم نسيانها وكأنها أمر تافه. تفاهة الشّر...هل يذكركم هذا بشئ ؟

لقد فكرت ملياً إذا كان ينبغي لي أن أنشر هذه الصورة على صفحات مجلتنا (إسيمو) وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن من واجبي أن أفعل, لأنها تشكّل جزءاً من حياة الشجاع خالد الأسعد وتسليمه بمصيره. عالم الآثار ذاك الذي بلغ من العمر عتيا والذي أجثو على ركبتيّ وأحني رأسي أمام جسده المكلوم. ولأن هذه الصورة تكرّم شجاعته وتفضح خسة ودناءة قاتليه الجبناء، المسلحين والممولين بدعم من جزء كبير من الغرب وحلفائه في المنطقة,

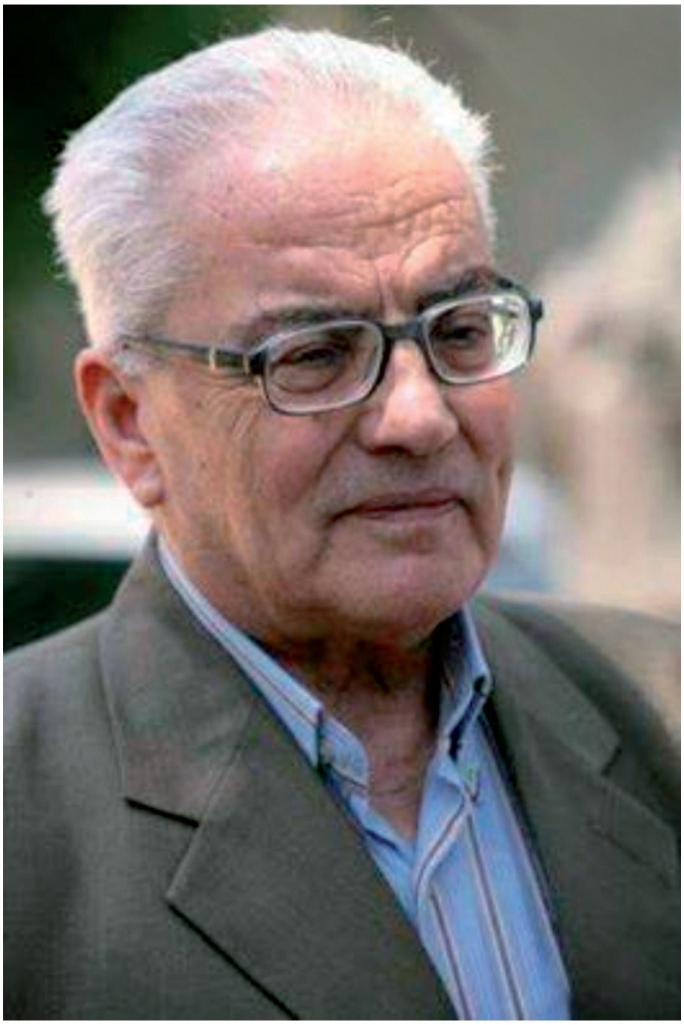

تأبين
خالد محمد الأسعد
(2015-1932)

وجميع العلماء والحراس والموظفين الذين
تم اغتيالهم وقضوا في سبيل الدفاع عن تاريخ الشعب السوري

في الثامن عشر من شهر آب- أغسطس من عام 2015 قتل الدكتور خالد محمد الأسعد, المختص بآثار وتاريخ مدينة تدمر والمدير السابق لمديرية الآثار والمتاحف في تدمر حتى تاريخ تقاعده. تم قطع رأس الرجل ذو الثلاثة والثمانين عاماً في باحة المتحف, فظاعة همجية مسؤول عنها جلادوه والدول المتآمرة على تدمير سوريا.

ولد خالد الأسعد في مدينة تدمر عام 1932, ومنذ نعومة أظفاره شدّته أطلال مدينته القديمة وتاريخها الموغل في القدم, درس في جامعة دمشق قسم التاريخ. كان الأسعد من رواد أعضاء الحركة القومية التي هدفت إلى إعادة تأهيل الأمة العربية القائمة على العلمانية التي انتهجت الاشتراكية والتأكيد على الوطنية. انتسب إلى حزب البعث في سنّ الثانية والعشرين (1954) والذي عقد اجتماعه التأسيسي في دمشق في نيسان 1947. لهذا لم يكن الأسعد انتهازياً بل كان شاباً مكافحاً واعياً وشجاعاً سعى لتحقيق أهداف البعث في الوحدة والحرية والاشتراكية, وإلى المساواة والحرية للنساء والرجال على حد سواء, وإلى تحقيق كرامة الأمة العربية واستقلالها الحقيقي وإلى الأخوّة بين البشر رغم العوائق الدينية والتي ساعدت العلمانية على حفظ المساحة الشخصية للجميع ومنهجها كان اشتراكية ليست بالماركسية.

الممنوع دخوله بسبب تكوينه - بموافقة اليونسكو الفاضحة - حيث أعتبر مادة خطيرة (غير معقول لكنه واقعي). إلى جانب أفلام التصوير التي لا غنى عنها بالنسبة لأعمال الترميم والصيانة للآثاريين العراقيين. أو عندما أخذنا كمية كبيرة من أقلام الرصاص لتلاميذ مدرسة ماحوز، والمعتبرة من طرف الأمم المتحدة مادة خطيرة قابلة لتصنيع "أسلحة دمار" شامل بلا شك. أو المرات العديدة التي استطعنا فيها إدخال الأدوية الأساسية أو المواد الدراسية في تلك السنوات. ومن خلال الحاجة والمعاناة التي قاساها الناس هناك وقاساها فريقنا فقط خلال وجودنا معهم، فإن العلاقات التي تشكلت مع الدكتور صلاح ومع سكان ماحوز ومع الكثير من الزملاء الآخرين لا يمكن نسيانها. لذلك، فهل من اللازم أن نشرح لماذا صداقتنا تكونت آنذاك واستمرت بعد ذلك على الرغم من أننا لم نعد إلى العراق قبل وفاته؟

فالدكتور صلاح عالم آثاري عراقي توفي. وبالنسبة لنا ولأخوته وزملائه كان مجرد صلاح، حبيبنا صلاح. ما زلت أذكر ذلك العناق الودي الذي جمعنا في جامعة أوتونوما عندما حضر المؤتمر الدولي الخامس لآثار الشرق الأدنى القديم (2006). أعرف طبيعته، وكلانا انفجر بالبكاء. كانت المرة الأولى التي التقينا فيها بعد حرب مشينة وفي وقت كان فيه كل مثقف أو أستاذ عراقي معرضا لخطر الموت، فقط لكونه انسانا مفكرا. وهو الآخر كان مهددا بالقتل من قبل الاسلاميين، لكنه أنقذ نفسه بأعجوبة. غير أننا لم نستطع تجديد المشروع الذي كان سبب صداقتنا. فقبل الحرب وفي مناسبات عديدة تحدثنا نحن الاثنان عن تل ماحوز والاحتمال الكبير أن نعثر هناك على آثار مدينة تورشة الميثانية. وفي أكثر من مناسبة قمنا الإثنان بمداعبة خط الطوب الذي أظهرته السيول في أرضية السقف للألفية الثانية، والشبيهة بما يوجد في مدينة نوزي. رحل هو أولا إلى العالم الآخر. سأتبعه أنا دون أن أتمكن من تأكيد فرضيتنا. لكن عندما سيستقبلني في عالمه فإنني متأكد من أنه سيكون عنده الحل. لكنني أطلب منه شيئا وهو أن نتذوقه ونسعد به سوية جالسين وأمامنا كأس الشاي الأخير الذي لم نتمكن من الاستمتاع به. حتى ذلك الحين، عزيزي صلاح نم بسلام.

خواكين ماريا كوردوبا

جامعة أوتونوما بمدريد

المؤسسات المتخصصة في العالم. لقد رحل عنا صلاح ورحل عني دون أن أتمكن من تناول كأس الشاي الأخير معه.

تخرج صلاح سلمان سنة 1969 من قسم الآثار من كلية الآداب بجامعة بغداد، وتخصص في آثار وعمارة القرنين الثالث والثاني ق.م.، ثم أنجز بعدها الماجستير والدكتوراه في نفس الكلية. وقد ربط مصيره بمديرية الآثار بوظيفة آثاري سنة 1972، أي بعد ثلاث سنوات من تخرجه من الجامعة. ومنذ ذلك الحين تم تكليفه وباستمرار بإدارة فرق للحفريات وحفظ وصيانة العديد من المواقع الأثرية مثل عكركوف وكوريغالزو (1972)، والقصر الأموي لدار العمارة إلى جانب مسجد الكوفة (1973)، أو القصور والمساجد للمواقع الأثرية لمدينة سامراء (1974). وكذا حصن وقصر الأخيضر العباسي أيضا (1974)، حيث أصبح مديرا له في السنة التالية. وضمن أعمال الحفظ والصيانة التي تكلف بها تعد مسؤوليته عن مواقع بابل (1975)، ومساهمته في الفريق الآثاري الذي عمل في مرقد الأربعين بالقرب من مدينة تكريت (1976)، إلى جانب اسهامه في المشروع الدولي لانقاذ مواقع أثرية في المنطقة التي تم بناء سد حمرين فيها (1977-1980).

وبصفته مديرا مسؤولا عن العديد من الحفريات الأثرية والمشاريع المختلفة مثل حفريات ياسين تبة في مدينة السليمانية (1978)، وتل خوجة بالقرب من الفلوجة (1980)، وأعمال انقاذ مناطق أثرية نتيجة لبناء الطريق السيار 1 (1981-1982)، وفي تطوير المشروع المساحي المنجز في الأنبار (1983)، وخطة إعادة بناء آثار بابل (1984-1986)، وفي أعمال أثرية كانت نتيجة لبناء سد البغدادي (1990)، وغيرها من الحفريات في بابل (1999)، وفي تل الولاية في محافظة واسط (2001)، وتل أسمر وأشنونة في ديالى (2002). بالاضافة إلى ذلك فقد كان ممثلا لمديرية الآثار العراقية في المشروع السوفياتي يارم تبة (1974)، وفي الفريق الآثاري الفرنسي لارسا الذي كان يديره حينذاك خ. ل. هوت (1989). وكذلك في الفريق المشترك الإسباني العراقي في تل ماحوز، والذي كنت أنا أنسقه معه (1997، 2000-2003).

وتحمل أيضا مسؤوليات مختلفة في قسم الآثار وفي الجامعة. أدار قسم البحوث الآثارية (1994-1996)، وكان أستاذا في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد وأستاذا في قسم الآثار في نفس الجامعة (1998-1999). وانصبت مهامه الأخيرة على إدارة فريق المساحة الآثارية في غرب العراق (2001)، والإدارة العامة لدائرة البحث في قسم الآثار القديمة (2003-2005)، لغاية إحالته على التقاعد في 2008. نشر العديد من الكتب والبحوث المتنوعة في مختلف المجلات العلمية وساهم في الكثير من المؤتمرات الوطنية والدولية. فمثلا، حصل لي الشرف باستقباله في جامعتنا، جامعة أوتونوما بمدريد، بمناسبة المؤتمر الدولي الخامس لآثار الشرق الأدنى القديم (5-8 أبريل 2006). فقد كان الدكتور صلاح بالنسبة لي ولنا جميعا أكثر من مجرد عالم آثاري معروف ومميز، لذا فنحن نتذكره بصورة خاصة.

شاركناه سنوات الحصار القاسية التي سبقت عام 2003، عندما شكلنا جزءا من الفريق العلمي الإسباني العراقي وتكلفنا نحن الاثنان بإدارة الفريق للقيام بأعمال الحفريات في تل ماحوز الذي يقع على بعد ستين كلم. إلى الغرب من مدينة كركوك على شاطئ نهر الزاب الصغير. ومع زميلنا، صديقنا وكأنه أخ حميم تشكلت بيننا روابط متينة وكأننا أناس متمرسون، فقد كانت أوقاتا للحرب. هجوم بالقنابل بين الحين والحين وضغط مستمر على العراق. فترة حصار بلا رحمة وبدون قيم أو إعتبارات انسانية بدعم متعال غير مسؤول من الأنكلوسكسونية. وبصفتي المسؤول الأول للطرف الإسباني عملت وبمحض إرادتي على كسر طوق الحصار الكريه المفروض في حدود الممكن، فأخذت كميات من الدواء "يا له من خطير" مثل "ثرومبوسيد" الذي يعالج آلام أصدقائنا والذي لم يكن بالامكان الحصول عليه في العراق حينذاك. أو الصمغ اللاصق "إميديو"

في ذكرى عالم آثار عراقي
صلاح سلمان رميض علي الجبوري

أظن أنني علمت بخبر وفاة الدكتور صلاح بعد شهور من الحدث، وكان ذلك بالصدفة وهو الصديق الحميم والودود وزميل الحفريات الأثرية في تل ماحوز. والواقع أنه كان صديقا حميما لنا جميعا، نحن الذين ساهمنا في تلك المهمة الصعبة والمشرقة في تلك الحفريات الإسبانية العراقية. ولن أتردد في القول بأنني عندما علمت بوفاته شعرت بحزن عميق وغضب لا نهاية له. حزن لمغادرته المبكرة قبل ما هو مألوف من قانون الحياة بكثير. وغضب بسبب الظروف الخارجية التي أدت إلى التدمير التدريجي للعراق العلماني من خلال الحصار الذي عايشناه قبل عام 2003 والذي فرض على هذا البلد ثم استمرت المعاناة في السنوات اللاحقة. وبرحيل الدكتور صلاح اختفى عالم آثاري عربي آخر ممّن ثبتوا أركان الدراسات الأثرية في العراق. توفي الدكتور صلاح غيلة مثلما جرى مع رياض الدوري[1] الذي أغتيل بعد الحرب، وكما حصل مع دوني جورج[2] الذي توفي في المنفى. وكما جرى مع الكثير من الأستاذة والباحثين العراقيين دون أن يتمكنوا من تحقيق أحلامهم، عدا الآلاف من الزملاء والباحثين العراقيين الذين أضطروا على الهجرة القسرية لكل أرجاء العالم. كل هؤلاء كانوا وما زالوا يمثلون جيلا من العلماء والآثاريين العراقيين الذين تم التضحية بهم والذين كانوا يعملون على هدي أفكار ساطع الحصري، من مثل فؤاد سفر ومحمد على مصطفى وطه باقر. وكل هؤلاء ساهموا في إنشاء المتحف الوطني العراقي ومديرية الآثار العراقية الأكثر اكتمالا ومتانة وازدهارا في كل المنطقة، وواحدة من أقدم

[1] P. Miglus. – "Obituario. Riad al-Duri", ISIMU 6 (2003): XIII-XIV.
[2] J. M. Córdoba. – "Donny George Youkhana. In memoriam", ISIMU 14-15 (2011-2012): IX-X.